الجزء الثاني:

الجسد هذا الأنا الآخر

من الأنـــانة إلى الأنا الآخر

" الحقيقة يمكن العثور عليها من جديد، وفي أغلب الأحيان تكون قد كتبت في موضع آخر "

لاكان

1- من الجسم إلى الجسد:

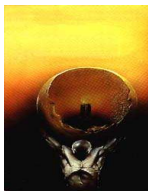

ألا يستلزم تأكيد الإنية توسط الجسد؟ هذا التساؤل لا يدفعنا لمعاودة النظر في الإنية والتشكيك في منطق الأنانة و إنما يلزمنا بالتمييز بين الجسد والجسم بحيث أن اثبات الإنيّة قد لا يحتاج توسط الجسم و لكنها لاتدرك في اقصاء الجسد، لأنها الجسد.

أ- الجسد الخاص : [من الجسد الموضوعي إلى الجسد الفينومينولوجي]

يفيد الجسد في آن الموضوع الذي يمكن إدراكه وما لا يمكن أن ندرك بدونه. من جهة إمكانية إدراكه يكون الجسد شيئا من أشياء العالم،أو موضوعا هو الجسم أو الجسد الموضوعي، أما من جهة الاستحالة يكون الجسد هو الذات أو هو الإدراك ذاته، و هذا هو الجسد الفينومينولوجي، فالجسد دائما معي و ليس أمامي.

Merleau-Ponty:
« Le corps, , est avec moi, jamais devant moi...»

الجسد الفينومينولوجي هو الجسد الواقعي الذي من خلاله أدرك، و الذي بفضله أكون في العالم، أو يفعل بطريقة يكون بالنسبة لي هناك عالم. أماالجسد الموضوعي فهو مجرد مفهوم بالنسبة لي، أو هو جسدي كما يمكن رؤيته في جسد آخر.

إذا كان جسدي يتمنع عن الاستكشاف والمعرفة فهذا لأنه حامل جملة العادات، و مكان إقامة أفعالي اليومية، وهو الذي يضفي المعنى لعالمي اليومي. و الذات المتجسدة لا تنفصل عن العالم بل تنخرط فيه بحسب موقع لها، وعبر هذا الموقع تتواصل وتعي، وعبر هذا الموقع يكون في كلّ مرّة هناك " فهم ما "للعالم؛ الذات تعي العالم بحسب منظوريّة الجسد، لأن" الإدراك ينتج عن فعل الشيء في الجسد وفعل الجسد في النفس" فعلى النحو الذي يكون عليه جسدنا، وبحسب موقعه، في العالم ومع العالم، يكون وعينا. بل الوعي صيرورة تستوجبها منظوريّة الجسد، و كل تعطيل في عضو من

أعضائه ينجرّ عنه تعطيل في الوعي؛ فيظهر العالم بهذا المعنى للذات المتجسدة فضاء مدّ من الدلالات، ومساحة مشحونة بالقيم والمعاني، ومجالا للترميز و التمعين، لأنه حاصل ما تفهمه وتدركه و تعرفه الذات المتجسّدة. وبما أنني لا أمتلك الوعي الحقيقي بجسدي إلا في الفعل، و بما أن الفعل يقتضي في تحققه التغافل على الجسد للانخراط في العالم، فإنني لا امتلك الوعي بجسدي إلا بتوسط الوعي بالعالم. و لكن "جسدي ليس جزءا من المكان وإنما هو ما لا يكون المكان بدونه. إذ يمكن أن نقول أن جسدي يوجد دائما هنا و لكن "هنا" هذه لا مكان لها بل هي ما قبل المكان.، أو هي ما به يكون المكان ممكنا.

M. Merleau Ponty : « véhicule de l'être au monde », ... « l'expérience motrice de notre corps nous fournit la manière d'accéder au monde et à l'objet, une praktognosie qui doit être reconnue comme originale et peut-être originaire ».
phénoménologie de la perception, p 402

ب- تجربة الجسد : أو الجسد المعيش

مع مرلوبونتي لا يدرك الجسدباعتباره جسما أو نشاطا عضويا خالصا أو موضوعا للإدراك و إنما باعتباره الإدراك. و لذلك يرفض الإقرار بقدرة النفس على الفعل في الجسد خاصة لحظة يتحول الجسم جسدا إنسانيا. و هذا التحول هو تحول جوهري لأنه دليل القطيعة مع النظام البيولوجي و الانتروبولوجي. فالانتقال نحو الجسدي هو قفزة نوعية نحو الإنساني، حيث ينفصل الجسد الإنساني عن الجسد الحي. و رمزية الجسد الإنساني ليست منطقية، و إنما معيشة، وتجربة الجسد تحيل على دلالات لا يمكن ردها للتفسير العلمي و لا للفهم الميتافيزيقي للإنية و هذا ما يدفعنا ضرورة للتمييز بين جسد نعرفه connu و جسد نعيشه vécu.

Merleau-Ponty: « En tant que j'ai des mains, des pieds, un corps, un monde, je porte autour de moi des intentions qui ne sont pas décisoires et qui affectent mon entourage...»
Phénoménologie de la perception , p. 502

2- من الجسد إلى العالم:

ج- الإدراك حضور في العالم:

تستهلك التجربة الإدراكية حضور الجسد الخاص في العالم و هو إدراك بسيكولوجي و قصدي في آن ، فيعطي مرلوبونتي للإدراك ما يعطيه ديكارت للفكر، حيث يكون الإدراك نشاط الجسد. الحضور في العالم هو حدث من فعل الجسد الإنساني، فإدراك الحيوان يحيل على الوسط milieu في حين يحيل الإدراك الإنساني على العالم monde ، أن نفكر في فلسفة الحضور هو أن نفكر في عالم الإنسان ، و كأننا نقول أن الحيوان لا يدرك.

Merleau-Ponty: « La perception m'offre des présences»
« La nature de la perception »
Le primat de la perception et ses conséquences philosophiques, op. cit., p. 45

هذا التمييز يقتضي النظر للإدراك لا على أنه معرفة فحسب و إنما على أنه خبرة وجودية، لأن الإدراك هو الذي يحددّ شكل الوجود. و في حضور الجسد في العالم نشهد ولادة المعنى. ونحن لا نقيم مختلف الوضعيات الإنسانية انطلاقا من ذات مفكرة و إنما انطلاقا من ذات جسدية. إذ يولد نداء العالم من الإمكانية ذاتها الخاصة بالجسد على إنتاج العالم انطلاقا من الإدراك.

Merleau-Ponty: «« Notre corps en tant qu'il se meut lui-même, c'est-à-dire en tant qu'il est inséparable d'une vue du monde [...] est la condition de possibilité non seulement de la synthèse géométrique mais encore de toutes les opérations expressives et de toutes les acquisitions qui constituent le monde culturel. »
Phénoménologie de la perception , p. 502

الوعي في قصديته يتجه نحو العالم، و لكنه لحظة يقصد الأشياء يجهل أنه يقدها. هكذا تريد الفينومينولوجيا أن تكون نظرة جديدة على العالم، نظرة أصيلة تكون بمثابة العودة نحو المعنى، نحو التجربة، ضدّ النظرة العلمية، إذ تبدو الفينومينولوجيا كخطاب خارج المعرفة، باعتبارها تعليقا للحكم. وباختصار

استعادة تلك الدهشة القديمة تجاه العالم، إذ يعتبر مرلوبونتي أننا مع العلم ومع المعرفة نميل دائما إلى نسيان العالم. والمقاربة الفينومينولوجية هي شرط البقاء في عالم الكهف أو شرط العودة إليه. وعودة الإنسان للكهف هي في النهاية عودة للجسد الذي بفضله يحافظ الإنسان على أصالة الوجود في العالم.

العودة إلى عالم الكهف لا يجب ان تفهم على أنها عودة لعالم الظنّ و الوهم ، وإنما على أنها عودة إلى عالم المعنى، و قد يكون ثمن المعنى عودة أشياء الكهف وموضوعاته، ولكن ليس للكهف أشياء و موضوعات إلا ما صنعه السجناء، و بالتالي ما يستعيده الكهف هو الإنساني ذاته، لأن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يوجد في العالم و في ذهنه عالم، بل هو الكائن الوحيد الذي يعيش و يتفاعل مع عالم كهفه و ذهنه، أكثر من تفاعله مع عالم الأشياء في ذاتها و عالم الحقائق.

إذا كان بالنسبة لهديجير الوجود في العالم يعني أننا دزاين [كائن هنا Dasein]فإنه بالنسبة إلى مرلوبونتي الإنسان هو جسد منخرط في العالم، وهذا يعني أنني لست شيئا من الأشياء المادية في العالم، و لكنني انخراط في عالم الأشياء والعالم البينذاتي. و بفضل المنظوريّة يوجد الإنسان في العالم و في ذهنه عالم، إذ تمتلك المنظورية أفقا، هوالأفق الذي تتقاطع فيه كل الإدراكات الأخرى، وهو أفق الذاكرة الثقافية، هذه هي العوالم التي يحيل إليها الوجود في العالم أو الذي يسميه مرلوبونتي l'inter monde ، المكان الذاتي يستدعي كل الأشياء التي غابت عن عالم المنظورية، و التي يمكن إدراكها. باختصار من جدلية المنظورية والأفق يولد المكان الموضوعي ولكن حتى نمتلك حدسا أولي بالموضوع، وحدسا بالمدركات الأخرى في جدلية النظر و الأفق، هنالك تجربة الجسد حيث لا نتحدث عن الكوجيتو و إنما عن الأنا المنخرط Je-engagé .

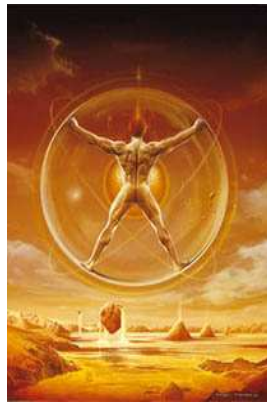

أنا في العالم أتعامل بشكل مباشر و هذا هو الذي يسميه مرلوبونتي اللحظة الماقبل تفكرية préréflexifs ، فأنا هنا يعني أن لجسدي وضعية ما je suis mon corps en situation ، وهذا الوضع الذي عليه جسدي هو الذي سيحدد طبيعة علاقتي بالأشياء من حولي، فالمكان تنظمه ممكنيات جسدي، وأن أقدم تحية لصديق في الطرف المقابل يفترض انخراط الجسد في كليته في العالم ومع الغير.

تبين لنا كيف كشف مرلوبونتي خصوصية الجسد من جهة تمييزه عن الموضوع، إذ هو قادر على إدراك ذاته في استقلاليّة عن الموضوعات ، فما تستطيعه الأنانة في الطرح الديكارتي ، من جهة قدرتها على الانغلاق على ذاته ، يستطيعه الجسد في المنطق الفينومينولوجي من خلال انفتاحه على العالم أو انخراطه فيه .فثبت لنا أن الإعتراف بالجسد هو اعتراف بما كان يعدّ غيريّة تشدنا لعالم الحيوان، وهو إعتراف جعل من الجسد عتبة الإنسانية و أساسها، ولذلك يبدو أنه من المفيد أن نعلن بعودة الجسدي احتواء الإنيّة للغيريّة وهو اعتراف كما استعاد في طياته العالم و أشياءه يستعيد للذات أشياءها الخفيّة أو المكبوتة، و كأننا نعترف بعودة الجسد هذا الأنا الآخر الممتنع عن الاستكشاف أن الإنسان في ما يخفى و يخفي في آن.

3- الغيريّة عمق الإنيّة:

أحدثت فرضيّة اللاوعي في التحليل النفسي رجّة و ثورة حقيقيّة في سؤال الإنيّة،إذ أعاد هذه الفرضية تركيب بنية الإنية،انتقلت بنا من سطح الوجود الإنساني إلى عمقه، ومثّلت إعلانا عن نهاية براديقم الأنانة، أو مثلتّ قطيعة إبستيمولوجيّة، كشفت خللا في النموذج، و هي ثورة قد انتقلت بنا من الإنيّة البسيطة إلى الإنيّة المركبّة؛ و علم النفس منذ ديكارت، المتأثرّ بالبراديغم الاستبطاني[1] ، لا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن ينجب مثل هذه الفرضيّة و لا أن يحدث مثل هكذا ثورة.

و أن ننظر للأشياء الفاقدة المعنى، أحلاما كانت أم هفوات، على أنها أشياء ذات معنى، يعني أن نعتبر أن اللاوعي، يفكرّ، يحلم، يرغب، يصعّد، ولكن دون العلم بذلك، و هذا يعني كذلك أن هناك مراحل في الحياة النفسية لم يتم تجاوزها بالكامل، أي هناك شيء في الرغبة لا يزال طفلا.

أ- اللاوعي و الوجه الخفي للإنيّة:

- **ظاهرة الحلم:**

الحلم لا عقل فيه ولا فكر، فوضى لا معنى لها؛ لكن إذا كان هذا صحيحا لماذا نحلم؟ ما الذي يدفعنا إلى اللامعقول و اللامعقول؟ ما قلناه في البداية عن ظاهرة الحلم هو ما يؤكّده الفكر الكلاسيكي الذي يعتبره ظاهرة لا تستحقّ الدراسة ، لأن لا مبررّ لها ولا دوافع تحددّها ، فهو بمثابة المجانية أو اللاجدوى ؛ و لكن ألا يمكن أن يكون الحلم كما اللاوعي يتطرّك

[1]. النفس=وعي: و هذا الوعي مدرك بطريقة مباشرة ؛ فالفكر وعي أو لا يكون ، وكل ما لا ينتسب للفكر فهو منتسب لجوهر الامتداد ، وهذا الجوهر لا علاقة له بالوعي، وهذا له إستتباعات في القراءة الديكارتيّة ، أهمه استحالة الحديث عن " فكر لا واع" ، إذ في ذلك تناقض و خلف ، وإذا أردنا التعمّق في هذه المسألة نقول أن المشكل في القراءة الديكارتيّة ناتج عن الخلط بين " الوعي و الانتباه ، والوعي والتفكير" ، ولكن هل أنا "أفكر" هي ذاته أنا" أنتبه"؟ و إذا كانت النفس فكرا وجب لكي توجد أن تفكّر دائما أو أن لا تتوقف عن التفكير وهذا ما يقوله ديكارت بوضوح:
Je trouve ici que la pensée est un attribut qui m appartient elle seul ne peut être détachée de moi. Je suis, j existe , cela est certain, mais pour combien de temps? A savoir autant de temps que je pense, car peut être se pourrait-il faire, si je cessais de penser, que je cesserais d être, d exister.

داخل منطق قصديّ ، يؤسسّ دوافعه ويحدد أهدافه؟ هل كلّ أحلامنا بهذه البراءة و بهذا اللامعنى؟

قد تتحددّ قصديّة حلم ما إنطلاقا من رغبة ما، وبذلك يمكن أن يكون هنالك داخل الحلم فكرا كامنا أو لنقل فكرة ناظمة تحرّكها رغبة ، تظهر في الحلم بشكل مبعثر فوضويّ و كأن لا معنى له . ماحدث في الحلم يمكن أن يحدث في اليقظة، فيما نسميه"الهفوات "، مثل زلة القلم سبق لسان، النسيان، التعثّر، فقدان الأشياء...

- الهفوات Parapraxis :

الهفوة هي فعل يعجز الوعي عن القيام به أو ردّه، لذلك تظهر الهفوة على أنها عديمة المعنى، و لا نوليها أيّة أهمية، خاصة إذا كانت ميزتها الأساسية، أنها تخطئ هدفها، ولكن ليس كل ما يظهر للوعي على أنه غريب، يعني أنه محروم من المعنى، وقد ذكر فرويد مثالا يكشف فيه أن الهفوات في الأفعال، ليست حكرا على المصابين بالعصاب، بل قد تعترض الأسوياء كذلك، فرئيس النمسا أراد أن يفتتح ملتقى، فقال: "أعلنوا سادتي الحضور أن الجلسة أغلقت، عفوا بدأت"، فإما أن ننظر هذا التصريح بسطحيّة، أو أن نفكرّ في هذا القول فننتبه، إلى رغبة كامنة وراء الهفوة تقول: "لا أريد فتح هذا الملتقى". و الحال كذلك بالنسبة لباقي الهفوات التي لا تحصى في حياتنا اليومية[2].

و من خلال فرضيّة اللاوعي المهيمن على الرغبة، أو الناطق الرسطي باسم الرغبة، تواجه الأنا معركة صعبة، لذلك يعتبر فرويد أن الإنسان ليس سيّدا حتّى في بيته، فليست كلّ أفكاري هي أفكاري أو هي أفكاري و لا أنتبه لذلك، إذ هناك في الذات مناطق لا يصلها نور الوعي:

[2]. س.فرويد: "قد نقع في سبق لسان أو زلة قلم و قد نخطئ في القراءة أو نتعثّر و قد نضيع أمتعة أو نكسّرها...يضاف إلى ذلك الأعمال و الحركات التي يقوم بها الناس دون أن يشعروا بها...كأن يلعب الواحد ببعض الأشياء بصفة آليّة أو يدندن ألحانا أو يقلب أصابعه أو يتلمّس ثيابه الخ"
Cinq Leçons sur la psychanalyse /ed,Payot.p42

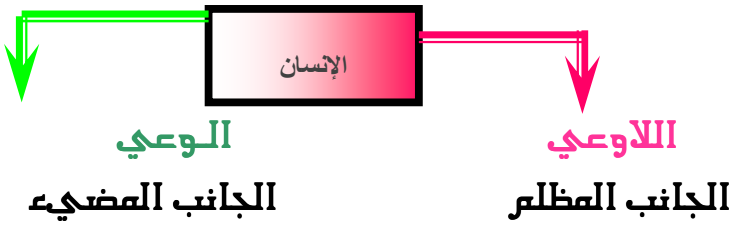

هكذا تبدو فرضيّة اللاوعي قراءة ممكنة للإنسان في جوانبه المضيئة في السطح وجوانبه المظلمة في الأعماق، على أنّها فرضية تمكننا من فهم الحياة اليومية النفسية للإنسان، و تمكننا كذلك من معرفة الذات، فليس الأنا سيد المنزل[النفس] وحتّى وإن كان سيدا، فهو ليس الساكن الوحيد، إذ تسكن مع الأشباح اللاوعية ، والرغبات الغير مشبعة ، المكبوتة. و على الأنا أن يعترف أنه ليس الفكر في كليّته بل يدرك من الفكر ظاهره ، و يبقى في الفكر فكر كامن:

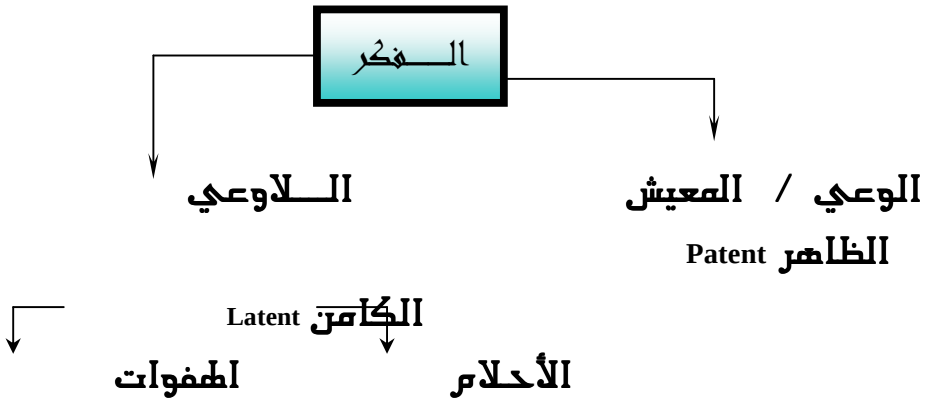

عندما يدخل الفكر الكامن في الخطاب، أو يدخل الرغبوي، علينا انتظار اللاواعي، و الخطأ كل الخطأ أن نعتقد أن اللاواعي هو"أنا" مختلف عنّي أو لا يخصّني ،بل هو جزء من الأنا التي لا أدركها ، هو ماض يثقل كاهل حاضرنا و لكنّه في كلّ الأحوال ماضينا.

ب – الجهاز النفسي بما هو بنية الإنيّة:

يشبه فرويد الجهاز النفسي بمنزل يحتوي ثلاث غرف، كل غرفة مستقلّة عن الأخرى داخليّا، ولكنّها مرتبطة بذات المنزل:

الهو le Ca[ES]	الأنا le Moi[Ich]	الأنا الأعلى Sur Moi
مبدأ اللذّة [الرغبة] عدوانيّة + جنسيّة Eros Thanatos [الدوافع] *مصدر الطاقة النفسيّة (إشباع ***كبت) *الهو أناني لا منطق له و لا أخلاق *يمرّ الهو في نموّه بثلاث مراحل: أ. المرحلة الفميّة: الفم موطن اللّذة:رضع+عضّ+مص ب. المرحلة الشرجيّة: التبوّل +التبرّز ج. المرحلة التناسليّة: إكتشاف الأعضاء التناسليّة ، وظهور عقدة أوديب و إلكترا.	مبدأ الواقع [العقل] أداة تكيّف + وسيط *حاصل إصطدام الهو بالعالم الخارجي لاشعوري + شعوري من جهة الرغبة من جهة الواقع * يمارس عملية الكبت رغم توا ئه مع الهو. * الأنا في الظاهر يحترام مقتضيات الحياة الاجتماعية؛ و في البا ـن خادم وفيّ للهو. *يعتمد أسلوبا ديبلوماسيّا يقوم على الرياء و التحيّل. *مهمّته اقتصادية تحاول التوفيق بين رغبات الهو [الإعلاء]و مطالب العالم الخارجي[الكبت]	مبدأ الفضيلة [الضمير] * يتكون من تداخل القوانين العائليّة + الإجتماعية [الأوامر] المواعظ + النواهي * جزء منه لاشعوري إذ لا نتحكّم في كلّ الموانع. * يتكوّن فينا تحت تأثير سلطة الأب ، لذلك يقوم مقامه و قد يكون أشد قسوة منه.

يظهر هذا الجهاز النفسي اللاوعي على أنّه الرغبات المكبوتة، والكبت هو هروب من الصراع و الألم والتوتر، ولكن لا يمكن إلغاء الرغبة المكبوتة، فهي تبقى رغم الرقابة وخيانة "الأنا"، تترصّد الفرصة السانحة للظهور في

الوعي، إما رغما عنه[الهفوات] أو برضاه[الإعلاء] ، وهكذا نفهم أن التوازن الذي أقامته الذات-بفضل الكبت-توازن هشّ و ضعيف ،إذ تستطيع الرغبة المكبوتة أن تخترق الرقابة و أن تراوغ الذات و ذلك بتغيير شكلها الأصلي[3]، هنا بالذات تبدو صعوبة مهمة الأنا، على اعتبار أن دورها الوسيط يقتضي منها التوفيق ، بين السلط الثلاث ، العالم الخارجي و"الهو"و"الأنا الأعلى"، فممارسات مثل الكبت و التبرير والنكوص و الإسقاط والإعلاء...كلّها حيل عقليّة تعتمدها الأنا للتحكم في الصراع، "الأنا مسكين إذ عليه أن يخدم ثلاث أسياد قساة، وهو يجهد نفسه للتوفيق بين مطالبهم "[4]، والأنا لا ينجح دائما في مهمّته ، التوفيقيّة و الاقتصادية ، وينتج عن فشل المهمة جملة من الأمراض يمكن اختزالها في : أمراض عصابيّة Névrose أمراض ذهانيّة Psychose و بالتالي لا يتميّز السويّ عن اللاسويّ إلا بقدرة الأوّل على التحمّل والصبر[الكبت]، أو على التخيّل والمراوغة [الإعلاء[5]]، هكذا يمكن أن نقول مع كارل يسبرس " أن الإنسان لعبة لا شعوره، بقدر ما يكشف عنه، بقدر ما يتحكّم فيه"؛ وعليه تظهر فرضية اللاوعي من الضرورة بحيث لا نفهم الإنسان بدونها ، وقيمتها تكمن في قدرتها على فهم الوعي ذاته ، و تحمّلنا مسؤوليّة ما نتركه خارج الوعي في المناطق المظلمة والمساحات النائية فينا. يبدو أننا مع فرويد نتعلّم شكلا جديدا من الشك، لا ريبيّا من جهة شططه وشموله، ولا ديكارتيّا من جهة منهجيّته و يقينه، بل علميّا من جهة فرضيّته وقدرته على التشكيك في الذات ذاتها، في الإنسان من جهة الماهية وواحديّة الجوهر، و في الحريّة من جهة أننا كائنات تتحكّم فيها جملة من البنى، وأن الشكل الوحيد للتحرّر لا يتمثّل في الإنعتاق من هذه البنى أو التخلّص منها، وإنما في السعي لفهمها و معرفتها والاعتراف بوجودها.

---

[3].عودة المكبوت تكون في شكل تقمّص Déguisement و هنا تظهر صعوبة مهمة الأنا.

[4] S.Freud. Nouvelles conférences de psychanalyse/1932.ed.Gallimard/1936.p104

[5]الإعلاء: هو قدرة الوعي على تحويل المرغوب مقبولا، إذ تحول الأنا الطاقة الجنسيّة و العدوانية إلى دوافع إبداعية، تخفي أصل هذه الرغبة، فتقبل على مستوى الواقع، بطريقة تراوغ فيها الأنا الأعلى، فيتحوّل بذلك دافع جنسي إلى إبداع موسيقي، أو إلى أثر فنّي، أو إلى أعمال خيريّة و اجتماعيّة، كما تتحوّل رغبة عدوانيّة إلى ممارسة نقديّة أو رياضيّة.

عمق الإنيّة أو ما يتخفّى وراء قناع الأنانة